الافتتاحيّة
المبادئ القرآنيّة للحركة الحسينيّة

السيّد رسول العلوي[1]

إنَّ النهضة الحسينيّة وحركة عاشوراء الحسينيّة، هي من أهمّ القضايا التاريخيّة التي كانت دائمًا محور اهتمام العلماء والباحثين المسلمين في تاريخ العالم بأكمله، ولا سيّما تاريخ الإسلام، وقد جرى حولها الكثير من النقاش، وكُتب فيها العديد من الكتب والرسائل والمقالات، كما يجري في هذا العصر بالذات العديد من التحليلات والخطب فيما يتعلّق بهذا الأمر، ولكن موضوع نهضة عاشوراء هو من العظمة والأهمّيّة بمكانٍ لا تزال بحاجة للتحليل والتحقيق في العديد من جوانب هذه الحركة الخالدة.

يرى علماء الشيعة أنّ قول الإمام المعصوم وفعله وسيرته حجّة؛ إذ هو يقوم على الأسس والتعاليم الإلهيّة والقرآنيّة؛ فإنَّ القرآن الكريم كدستور الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للمسلمين، قد شرح بوضوح مسار حياتهم، وبناء على ذلك لا شكّ أنَّ الحسين بن عليعليه السلام قد استند في حركته إلى تعاليم القرآن الكريم؛ نظرًا لمكانة هذا الكتاب السماويّ في حياة المسلمين، وقد بدأت انتفاضته الكبرى في ضوء تعاليم كتاب الوحي.

---

١. مدير تحرير مجلة (المصطفى)، جامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالميّة، قم، إيران. البريد الإلكتروني: alavi1403@yahoo.com.

فإذا ما قمنا بتحليلٍ شامل لحركة عاشوراء الحسينيّة، وفحصنا تصريحات ذلك الإمام الهمام ووصاياه منذ أوّل يوم من خروجه وحتّى لحظة شهادته، لرأينا بوضوح آثار التعاليم القرآنيّة فيها، وأدركنا حقيقة أنّ حركة عاشوراء هي في الحقيقة مرآة صافية تعكس تعاليم القرآن العظيم، وفيما يلي نشير بإيجاز إلى بعض الأُسس القرآنيّة لحركة عاشوراء، والتي يمكن أن تكون قدوة لأتباع القرآن وأهل البيت عليهم السلام وجميع الأحرار في كلّ مكانٍ وزمانٍ.

الأوّل: حفظ دين الإسلام وإحياؤه

كان من أهمّ أُسس حركة عاشوراء وأعظمها حفظ الدين الإسلاميّ وإحياؤه، وقد خاض الإمام الحسين عليه السلام ميدان القتال بناءً على أمر الله الذي قال: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ**﴾[1] للقضاء على فتنة الأشرار وأعداء الدين، ولأجل إحياء دين الإسلام وحفظه، وإنّ المبدأ الأساس لهذه الحركة حسب الآية الكريمة، هو الدفاع عن مصالح دين الله واعتلاء كلمة الله العليا، وقد قال سبحانه: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ...**﴾.[2] وعلى الرغم من أنّ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، إلّا أنّها تَصدق على أمثال يزيد وأتباعه لا محالة، ولمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ يزيد رغم أنّه يدعو نفسه مسلمًا بل خليفةً للمسلمين، إلّا أنّه في الواقع لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يمت بالإسلام بصلة؛ إذ يحلّ ما حرّمه الله ورسوله، ولا يدين بدين الحق، فلا بدّ من الوقوف في وجهه؛ لتظهر كلمة الحقّ على كلمة يزيد، ويتمّ إحياء دين الإسلام، وقد أشار الإمام عليه السلام يوم عاشوراء إلى هذه النقطة خلال قصيدةٍ قصيرة:[3]

إن كان دين محمد لم يستقم إلّا بقتلي، فيا سيوف خذيني

١. البقرة: ١٩٣.

٢. التوبة: ٢٩.

٣. السيد جعفر، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ١١٢/٣.

الثاني: طلب الإصلاح

والإصلاح ضدّ الإفساد، كما ورد في القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾،[١] ويتّضح من آيات القرآن الكريم أنَّ دافع جميع أنبياء الله وأوليائه وغرضهم الأساس من الدعوة هو الإصلاح على صعيد الحياة الماديّة والمعنويّة للبشر، فقد ورد في قصة النبي شعيب عليه السلام أنّه قال: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾،[٢] وكذلك ورد في قصّة النبي موسى عليه السلام أنّه عندما أراد الذهاب إلى جبل طور، جعل أخاه هارون خليفةً له وقال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٣]

وقد جعل الإمام الحسين عليه السلام بناءً على هذه الآيات الكريمة وأهداف الأنبياء عليهم السلام، إصلاح الأمّة أساسًا لانتفاضته؛ حيث أعلن عن هذا المبدأ بصراحة في انطلاقة قيام عاشوراء، من خلال وصيّته لمحمد بن الحنفية:

> **وإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا ظالمًا ولا باغيًا ولا مفسدًا، ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي.**[٤]

وفي خطبة أخرى، ذكر الإمام الحسين عليه السلام أساس حركة عاشوراء، مشيرًا إلى أبعاد الإصلاحات التي يتطلّع إليها:

> **اللّٰهُمَّ إنّك تعلم إنّه لم يكن ما كان منّا تنافسًا في سلطان... ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامكَ.**[٥]

فيمكن الاستنباط من تصريحات الإمام الحسين عليه السلام هذه، أنّه قد اتّخذ مبدأً مهمًّا

---

١. البقرة: ١١.
٢. هود: ٨٨.
٣. الأعراف: ١٤٢.
٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤؛ الشيخ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٢٩١.
٥. المجلسي، بحار الأنوار: ٨٠/٩٧؛ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٢٧٦.

وأساسيًّا من مبادئ القرآن الكريم - أي إصلاح الأمّة - كركيزة من ركائز انتفاضته، وسار على هذا المبدأ إلى الأخير.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قد اعتبر القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات الأمّة الإسلاميّة، بل وصفها بـ(خير أمّة)؛ حيث قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾،[١] كما اعتبر سبب هلاك الأمم السابقة وانقراضهم نسيان هذه الفريضة المهمّة قائلًا: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾.[٢]

ومن خلال تفحّص تاريخ حركة عاشوراء ومراجعة خطب سيد الشهداء عليه السلام ووصاياه، نجد أنّه قد اتّخذ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مبدأ خروجه منذ البداية؛ حيث أشار إليه في وصيته: «وإنّي لم أخرج أشرًا... أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي رسول الله وأبي علي بن أبي طالب»،[٣] وكذلك عند موادعته لمرقد رسول الله صلى الله عليه وآله الشريف:

اللّهُمَّ إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلّا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى.[٤]

الرابع: الغلبة الدائمة للحقّ على الباطل

ومن منظور تعاليم القرآن الكريم السامية، فإنَّ الحقّ هو المنتصر والباطل هو المنهزم دائمًا، فقد أعلن الله بوضوح انتصار الحقّ دومًا على الباطل بقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى

١. آل عمران: ١١٠.
٢. هود: ١١٦.
٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤؛ الشريفي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩١.
٤. المجلسي، بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٤؛ العاملي، محسن الأمين، لواعج الأشجان في مقتل الحسين: ٢٧.

الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.[١] وقال أيضًا: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾**.[٢]

وكذلك وعد القرآن الكريم المؤمنين أنَّ نصر الله مع المؤمنين في مواجهة الباطل، في هذه الدنيا فضلًا عن الآخرة، وسوف ينتصرون على الباطل حتمًا، بقوله: **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾**.[٣]

فكان سيد الشهداء عليه السلام يؤمن بحقيقة أنّ الباطل في نظام الكون زاهقٌ على الدوام وإن كان قويًّا ظاهرًا، بخلاف الحقّ إذ كان ثابتًا ومستقرًا دائمًا حتّى لو كان ضعيفًا ظاهرًا، وقد استخدم الإمام عليه السلام هذه الآيات القرآنيّة أساسًا لحركته، ومنذ بداية قيامه أعلن أنّ حركته حركة منتصرة؛ لأنّه كان يعتقد أنّه لا يوجد هزيمة حيث يوجد الحقّ والإيمان، والمؤمن لا يقهر أبدًا، فقد صرّح الإمام عليه السلام في رسالة إلى بني هاشم بمبدأ قيامه قائلًا:

> **بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام.**[٤]

ويتّضح من تصريح الإمام الحسين عليه السلام هذا أنّه على الرغم من علمه باستشهاده، إلّا أنّه اعتبر النصر المحتَّم من نصيبه والهزيمة من نصيب العدوّ على أيّة حال.

الخامس: الاستقامة على صراط الحق

وقد وصف القرآن الكريم الذين جعلوا الاستقامة ركنًا لحياتهم كما يلي: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**،[٥] ووصف الذين يبلّغون الرسالات الإلهيّة هكذا: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ﴾**.[٦]

---

١. الأنبياء: ١٨.
٢. الإسراء: ٨١.
٣. غافر: ٥١.
٤. المجلسي: ٤٤/ ٣٣٠؛ البحراني، عبدالله / العوالم الإمام الحسين: ص ١٧٩.
٥. الأحقاف: ١٣.
٦. الأحزاب: ٣٩.

وكان سيد الشهداء عليه السلام يرمي إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ حيث اعتمد الإمام عليه السلام دائمًا على هذا المبدأ المهمّ في خطبه وتصريحاته إبّان حركة عاشوراء، واستقام عليه مصرّحًا: «ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنَّ الباطل لا يُتناهى عنه»،[١] وقاوم على هذا المنوال حتّى استشهد دون أن يتخلّى عنه.

السادس: رفض الذُّل

ومن منظور تعاليم القرآن الكريم السامية، يختصّ تاج العزة والكرامة بذات الله تبارك وتعالى؛ إذ قال الله في محكم كتابه: ﴿الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾،[٢] وقال أيضًا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾،[٣] وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين هم أولياء الله وخلفاؤه على الأرض، فقد أنعم الله عليهم بحصّة كبيرة من العزّة والكرامة؛ حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾،[٤] وعلى هذا الأساس، لا يجوز أبدًا للمؤمنين قبول الذلّ والتخلّي عن العزّة والكرامة الموهوبة لهم، بل يجب عليهم تجنّب أيّ عملٍ مؤدٍ للذلّ وكلّ ما يمسّ من عزّتهم وكرامتهم الإنسانيّة، وألّا يسمحوا لأحدٍ بإهانة كرامتهم.

فمن خلال تتبع كلمات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ قائد حركة عاشوراء قد عمل بهذا المبدأ، أي التمسّك بالعزّة ورفض الذلّ، وهو من أسّس انتفاضته على هذا الأساس؛ حيث قال: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركّز بين اثنتين بين القتلة والذلّة وهيهات منّا الذلة»،[٥] بل اعتبر البيعة ليزيد مرادفًا للذلّ؛ حيث قال: «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برمًا»،[٦] وهكذا رأى سيد الشهداء عليه السلام أنّ الموت بكرامة أفضل من الحياة في الذل؛ حيث قال: «موتٌ في عزّ خيرٌ من حياة في ذلّ».[٧]

---

١. المجلسي: ٤٤/ ١٩٢.
٢. النساء: ١٣٩؛ يونس: ٦٥.
٣. فاطر: ١٠.
٤. المنافقون: ٨.
٥. المجلسي: ٧٤/١٦٢.
٦. المصدر نفسه: ٤٤/١٩٢.
٧. المصدر نفسه؛ الشريفي: ٤٩٩.

السابع: رفض الظلم

ولقد حرّم الله في القرآن على المؤمنين قبول حكم الطغاة والظالمين، وقد أرسى في سورة البقرة مبدأً مهمًّا في العلاقات الاجتماعيّة الإنسانيّة قائلًا: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾؛[١] لذلك فإنّ القرآن الكريم يأمر المسلمين بالمقابلة بالمثل تجاه المعتدين؛ حيث يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.[٢]

الثامن: الوقوف ضدّ الأنظمة الفاسدة

ولقد حرّم الله تعالى طاعة الكفار والملحدين والتعاون مع أهل الإثم والفسوق بشكلٍ عامٍّ ومطلقٍ، حتّى ولو كان الفاسق شخص الخليفة والسلطان؛ كما يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾.[٣] وقد نهر سبحانه وتعالى بشدّة الذين خضعوا لحكم الطغاة والجبابرة قائلًا: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾،[٤] كما أنّه – عزّ وجلّ – نهى عن طاعة الآثمين والكفار؛ حيث قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.[٥]

وقد اتّخذ سيد الشهداء عليه السلام هذه الآيات القرآنيّة أساس انتفاضته، فخرج للقيام على الظلم والظالم وأراد الإطاحة بسلطة الملحدين، وقد خاطب وليد بن عتبة قبل خروجه من المدينة، مشيرًا إلى أساس قيامه ضد الحكومة الفاسقة بقوله:

> **أيّها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجلٌ شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة معلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبِح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة.**[٦]

---

١. البقرة: ٢٧٩.
٢. البقرة: ١٩٤.
٣. الأحزاب: ٤٨.
٤. هود: ٥٩.
٥. الإنسان: ٢٤.
٦. علي بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧؛ المجلسي: ٣٢٥/٤٤؛ البحراني: ١٧٤.

التاسع. إحياء القيم الإنسانيّة والارتقاء بها

إنّ الإنسان من المنظار القرآنيّ، هو موجودٌ صاحب كرامة، ويتمتّع بشرفٍ ذاتيّ، وقد فضّله الله تعالى على كثير من مخلوقاته؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[١]

وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام في وقتٍ كان فيه القيم الإنسانيّة تُنتهك وتُداس تحت الأقدام، وعلى هذا الأساس جعل الإمام عليه السلام إحياء القيم الإنسانيّة وتعزيزها وترسيخها أساس قيامه، بل ربّما لا نجد مدرسةً في تاريخ البشريّة تكون قد تمكّنت من إحياء القيم الإنسانيّة، وهي في ورطة البلاء والمحن كمدرسة الحسين بن علي صلى الله عليه وآله..

١. الإسراء: ٧٠.